الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

# ونــزرع.. فيــأكلــون

حميد الموسوي
كاتب

المكان: جزيرة سبتسبورغن في منطقة سفالبارد الجبلية النرويجية. وتحديداً أعلى جبل في هذه الجزيرة المستقرة النائية بالقرب من القطب الشمالي وكأنها مهيأة لاحتضان مشاريع دائمة لخدمة البشرية على المدى البعيد.

المشروع: بناء قبو " القيامة " ليكون "بنكاً" للبذور كاحتياطي ورصيد للأجيال المقبلة، في خطوة استباقية لتصورات مستقبلية، تحسسا لحصول الكوارث الطبيعية المحتملة، من تغيرات مناخية وذوبان ثلوج القطبين وسقوط نيازك كبيرة، او حصول الكوارث "الاصطناعية " من تفجيرات نووية وهيدروجينية، وحروب اسلحة الدمار الشامل وكل ما يدخل في اهلاك الزرع والضرع. والحكومة النرويجية رصدت مبلغ خمسة ملايين دولار امريكي ككلفة تخمينية لبناء هذا القبو والذي تم الانتهاء من وضع تصاميمه وسيباشر بعملية البناء مطلع الشهر المقبل. البناء سيكون بعمق "١٢٠ مترا " داخل ذلك الجبل الشامخ بعد ان تمت دراسة تشكيلته الجيلوجية والتأكد من ملاءمتها لهذا المشروع، هذا البنك المذهل سيتسع لادخار ثلاثة ملايين عينة من البذور، حيث تولت مجموعة زراعية شهيرة تحمل اسم " كلوبل كروب دايفار سيتي تراست " مهمة جمع وصيانة العينات لحفظ نوع البذور الى قيام الساعة. وضعت تصاميم محطة رعاية وحماية البذور داخل البنك من الدقة حيث لا تحتاج معها الى تدخل بشري مكثف او مستمر، اذ تحتاج الى خبير واحد يدخل مرة واحدة في السنة لتفقد حالة البذور والتأكد من سلامتها!.

الاستغراق في شرح هذا المشروع، الذي تجاوز الاهتمام بمشاكل الامن الغذائي الوطني وعبرها مسافات شاسعة ليعني بالامن الغذائي الانساني، سيظهر الموضوع وكأنه فلم من افلام الخيال العالمي!. لكهن الحقيقة تقول: انها تطلعات مستقبلية مسؤولة وانجاز بشري رائع نفذ على ارض الواقع شأنه شأن الاكتشافات والابتكارات والمخترعات التي خدمت الانسانية ووفرت لبني البشر كل ما يحتاجون، وسهلت ويسرت العسير وذللت الصعاب في جميع الميادين الطبية، والغذائية والخدمية والنقل والمواصلات وجميع مستلزمات الحياة المتحضرة حيث تم القضاء على الاوبئة المتفشية ووضع العلاج والاحتياطات الخاصة المستعصية، وايجاد الحلول لحالات العوق والاحتياطات الخاصة وتم تطوير الجينات النباتية لاستخراج ناتج زراعي يوفر الغذاء للملايين من البشر. وبفضل الصناعات المتطورة اختصرت المسافات وتحول العالم الى قرى صغيرة وصار الانسان يحصل على كل ما خطر بباله من مقومات الحياة اليومية ومتطلبات العيش المرفه. وما هي الافكار الناضجة النابعة من تطلعات مشرقة ومشاعر انسانية مسؤولية راقية تنفذ حرفيا مبدأ: زرعوا فاكلنا ونزرع فيأكلون!.

وازاء هذا المنجز العظيم نقف ممتنين لتلك الذهنيات الجبارة.. ونحتار في اختيار " الشماعة " التي سنعلق عليها فشلنا وخيبتنا وعجزنا.. ونبحث عن الجهه التي نصب عليها لومنا وجام غضبنا!، فشتان بين تطلعات وتطلعات.. وتصورات وتصورات. اكيد ان قوى الشر الكهوفية في حالة طوارىء واستنفار، وسيعكف عناصرها على دراسة ستراتيجية جديدة من شأنها مواجهة هذه الابتكارات الخلاقة بابتكار خارق مضاد. وكون قبو " القيامة " سيقام قريبا من القطب الشمالي فأغلب الظن انهم سيعمدون الى تفجيره بعملية نوعية بواسطة دبة قطبية مفخخة!

# مــفــهــــوم الــــــذات

د. رضا الموسوي
اكاديمي

يشير عالما النفس هول ولندزي Hall and Lind-zey 2000 إلى أن كلمة الذات تستعمل في علم النفس في معنيين متمايزين هما الذات كعملية والذات كموضوع. ولاشك أن كلاً منهما كان موضوعا للمنظرين في علم النفس حيث استخدم معظم التحليليين الذات في كتاباتهم مستخدمين نفس self أو الذات . egoوبهذا فان الذات كبناء ترتبط بمجموعة من العمليات الوظيفية لتنظيم الحياة وتحقيق التمدن وتعرف بأنها مجموعة من السلوكيات التي تحكم السلوك والتوافق ويطلق عليها الذات. أما الذات كموضوع فتعرف على أنها اتجاهات الشخص ومشاعر ه عن نفسه ويطلق عليها مفهوم الذات الموضوعية. ويشير روجرز Rogers إلى أن الطفل في بداية حياته لا يدرك ذاته منفصلة عن المجال المحيط به ومن خلال الخبرة واستخدام اللغة للاشارة إلى الأنا أو الذات كفاعل وأيضا موضوع يبدأ الطفل إدراك ذاته كجزء من مجاله الظاهري heno-menological Field، وتنمو الذات وأيضا مفهوم الذات، والذي يعني مجموعة المدركات والاحكام الذاتية عن الذات نفهمها من خلال تفاعل الأطفال الصغار مع بيئتهم، فهم تدريجيا يكتسبون أفكاراً عن أنفسهم، وعالمهم بملاقاتهم مع ذلك العالم. فالأطفال يمرون بتجربة الأشياء التي يحبونها أو التي يكرهونها والأشياء التي يستطيعون أو لا يستطيعون التحكم فيها، تلك الخبرات التي تبدو معززة لذات الفرد تقيم وتندمج في الصورة الذاتية، أما تلك الخبرات التي تبدو مهددة للذات وغريبة عليها فيتم التنكر لها ورفضها، ولا شك في أن مفهوم الذات لا ينفصل عن الذات حيث يرى سوين أن الشعور بالذات من أهم السمات المميزة للانسان عن بقية المخلوقات الدنيا والإنسان أيضاً قادر على أن يستجيب لنفسه وللبيئة الخارجية وللآخرين. وهذا الشعور بالذات هو المصدر الأساسي للهوية Identity حيث يمثل الجوهر الموحد لشخصية كل فرد والذي يؤدي إلى التنظيم .

بعد هذا التمييز تجدر العودة إلى تحديد معنى مفهوم الذات على اعتبار أنها موضوع المقالة حيث تعرف على أنها فكرة الشخص عن نفسه كفرد كما أن مفهوم الذات هو تنظيم ادراكي انفعالي معرفي متعلم موحد يتضمن استجابات الفرد نحو نفسه ككل، كما ان مفهوم الذات عرف على أنه مفهوم افتراضي يتضمن جميع الأفكار والمشاعر عند الفرد التي تعبر عن خصائص جمعية وعقلية وشخصية وتشمل معتقداته وقيمه وخبراته وطموحاته و ينظر إلى مفهوم الذات كمفهوم عام دون تخصيص.

وهذا ما يمكن أن يقود إلى كثير من الإشكالات المنهجية. ولذا يفرق الباحثون بين أبعاد محددة لمفهوم الذات ولابد من الاشارة الى ان الفضل يرجع في تطوير نظرية مفهوم الذات إلى العالم الأمريكي كارل روجرز وتعتمد هذه النظرية بوجه عام على المسلمة القائلة بأن الإنسان يولدا مزوداً بدافع فطري للنمو، حيث يسعى الإنسان دائماً إلى أن يكون أكثر فعالية وتقوم نظرية روجرز على عدد من الافتراضات وتشمل:

أ-كل فرد يوجد في عالم من الخبرة المتغيرة، بعضها يكون متفقاً ومنسجماً مع الفرد. في حين يكون بعضها اقل انسجاما مع الفرد وأكثر تهديدا له ولتوافقه.

ب- لكل فرد ميل لتحقيق ذاته، والمحافظة عليها ومقاومة التهديدات التي يتعرض لها، واستغلال قدراته الكامنة إلى أقصى درجة ممكنة في سبيل تحقيق أهدافه.

جـ - تمثل الذات كينونة و ماهية وتنمو كنتيجة التفاعل بين الفرد والبيئة المحيطة به. ثم تنمو نتيجة للنضج والتعلم. وتصبح المركز الذي يجمع الخبرات التي يمر بها الفرد.

د. يحدث سوء التوافق النفسي للفرد عندما ينكر أو يتجاهل الخبرة التي تحدث له، لأنها لا تتطابق مع ذاته، ومن ثم يدركها على أنها خبرات مهددة له، ما يسبب له القلق والتوتر، ونتيجة لذلك يلجأ الفرد إلى بعض الحيل الدفاعية، لتجنب القلق والتوتر، ولكن اللجوء إلى هذه الحيل يؤدي إلى تشويه واقع الفرد ومدركاته، بمعنى أنه يحدث عدم تطابق وانسجام بين الذات والخبرة، ما ينتج عنه ظهور الاضطراب النفسي.

ويرى روجرز أن العوامل التي تشكل نمو الفرد مكتسبة أكثر منها حيوية (بايولوجية) بحيث يتم تأثير هذه العوامل خلال العلاقات الشخصية المتبادلة بين الفرد والبيئة والتي بدورها تشكل عالم الخبرة والواقع للفرد كما نرى إن أقوى عامل دافعي للفرد هو ميله إلى تحقيق الذات الذي يدفعه إلى استغلال طاقاته إلى أفضل مستوى ممكن، وبالتالي يوجه الفرد سلوكه ليتمكن من الوصول إلى هذا الهدف. ففي بداية الأمر تكون الأهداف التي يسعى الفرد إلى تحقيقها محصورة في بعض المجالات العضوية، كإشباع الحاجة إلى الطعام والشراب والنوم واللذة والابتعاد عن الألم، ثم تتطور هذه الحاجات مع نمو ذات الفرد وتفاعله مع الآخرين لتتركز في حاجتين مكتسبتين هما الحاجة إلى تقدير الآخرين، والحاجة إلى تقدير الذات.

أ. الحاجة الى تقدير الآخرين (الاعتبار الايجابي من الآخرين)

يشترك فيها جميع الأفراد، وتمثل حاجتنا إلى الحب والحنان والاحترام والقبول من الآخرين وخاصة ذوي الأهمية في حياتنا كالأب والأم والمعلمين. ويتم إشباع هذه الحاجة عن طريق الآخرين ولذلك فان الحصول عليها ليس بالأمر السهل لأن الفرد يرغب في تحقيقها عن طريق الآخرين ولكن هذا يتوقف على نوعية مطالب الآخرين الخاصة بهم فكما أن للفرد مطالب فإن للآخرين مطالب أيضاً وإذا تعلم الفرد أن يواجه مطالب الآخرين متبعا السلوك السوي الذي يساعده على تحقيق ذلك فإن هذا يدفع الآخرين إلى معاملته بالمثل وبالتالي يحقق الفرد حاجته إلى الاعتبار والتقدير الإيجابي.

ب- الحاجة الى تقدير الذات (الاعتبار الذاتي):

عند ما يستطيع الفرد تحقيق الحاجة إلى الاعتبار الإيجابي من الآخرين يبد أ في تكوين وتنمية الحاجة إلى الاعتبار الذاتي التي تتمثل في نظرة الفرد إلى نفسه نظرة إيجابية؟ تقوم على الشعور بالرضا والاستحسان مستفيدا في ذلك مما حصل عليه من اعتبار وتقدير من الآخرين ومقدار ذلك مع دمج هذه الاعتبارات التي من شأنها أن تسهم في تكوين مفهوم الذات لدى الفرد والذي يسهم في تحد يد السلوك الخاص به.

ويرى كارل روجرز أن السلوك والظواهر النفسية لا يمكن فهمها إلا إذا نظرنا إلى الإنسان على اعتبار أنه كل موحد.

ويمكن القول أن تشكيلة من الإدراكات والقيم المتعلقة بالذات أو الأنا وأن الكائن الحي يتميز بالخصائص الآتية:

(أ- يستجيب ككل منظم للمجال الظاهري لإشباع حاجاته المختلفة.

ب - يمثل تحقيق الذات وصيانتها وتطورها الدافع الأساسي للفرد.

جـ - خبرات الفرد التي تحدث له في حياته، تمثل خبرته تمثيلاً صريحاً فتصبح شعورية، اما ان ينكر على نفسه هذا التمثيل فتبقى الخبرة لاشعورية، أو أنه يتجاهل هذه الخبرة

د- يمثل الذات المحور الرئيس للخبرة فهو الجزء من المجال الذي تحدد على أساسه السلوك المميز للفرد.

هـ - تمثل فكرة الفرد عن ذاته أو الطريقة التي يدرك بها ذاته النواحي الرئيسة التي تقوم عليها شخصيته.

و- عاطفة اعتبار الذات وهي مشاعر مركزها فكرة الفرد عن نفسه وهي التي تستأثر فيشعر الإنسان بالاستياء من نفسه إن قام بأمر لا يرتضيه لنفسه ويشعر بالرضا عنها إن حقق لها ما يتفق مع فكرته عن نفسه.

ويعد ما سلو أهم الذين تناولوا موضوع الذات حيث، حدد هرم الحاجات Hierar-chy of needs والذي يشتمل على خمسة مدرجات تبدأ من اهم الحاجات الإنسانية وتنتهي بتحقيق الذات وتشمل:

١-الحاجات الفسيولوجية Physiological needs

٢- حاجات الأمن Safety needs

٣-حاجات الحب والانتماء Belongingness and Love Needs

٤- حاجات الاحترام Esteem Needs

٥- تحقيق الذات Actualization-SlSelf- وترتبط الحاجات السابقة بدافعية لتحقيقها، وتعبر المستويات الأربعة الأولى عن الحاجات، حيث يؤدي عدم إشباعها إلى خلل وقلق يدفع بالشخص إلى محاولة إشباعها لاستعادة التوازن وخفض القلق المرتبط بعد الإشباع، ولذا تعرف هذه الدوافع بالدوافع المبنية على الحاجات Need-based Motivations والتي تظهر كنتيجة لخلل في إشباع الحاجات الأساسية Needs-deficiency) (D-values/or Motiva-tions، أما المستوى الأعلى وهو تحقيق الذات فيمثل أعلى مستويات النضج والنمو والإحساس بالوجود، ولذا يرى ماسلو إن الفرد يكون مدفوعا في هذا المستوى بنوع آخر من الدوافع لا يعتمد على نقص في إشباع الحاجات الأساسية، بل بالرغبة في النمو، ولذا يسميها دوافع الوجود Being Motivation وأيضا دوافع النمو (B- Values) Growth Values/ or Motivations هذا التفريق يجري على أي من الدوافع فعلى سبيل المثال يمكن أن يكون دافع الحب دافعا مبنياً على الحاجات أو دافعا وجوديا. فالحب المرتبط بالحاجات ينتج عن شعور بالنقص في إشباع الحاجة وشعور في الحاجة الملحة للارتباط تسبب قلقا يدفع الفرد للإشباع بشكل مشابه للحاجة للطعام، في حين أن الحب الوجودي يكون مختلفا ويتميز عن الحب المرتبط بالحاجات بعدد من الميزات، فهو مستمر في النمو بشكل لا نهائي وانه أغنى وأثمن، ويعاني الفرد درجة اقل من القلق، ويعطي المحب وشريكه درجة أعلى من الاسقلالية، ودرجة اقل من الاعتمادية على الطرف الآخر، كما أن الفرد في هذا النوع أكثر ميلا لمساعدة الطرف الآخر لتحقيق ذاته، ويكون أكثر سعادة وفخرا بذلك، كما انه خال من الغيرة.

ولقد حدد ماسلو (١٩٧١) (Maslow خمس عشرة قيمة لدافع الوجود أو تحقيق الذات تشمل

١. الحقيقية truth ٢- الخير Goodness ٣- الجمال Beauty ٤- الوحدة والكلية Unity Whole-ness

٥- الحيوية Aliveness

٦- التميز أو التفرد! Uniqueness

٧- الكمال perfection

٨- الضرورية Necessity

٩- الإكمال والنهائية Final-ity Completion and

١٠-العدالة Justice

١١- الترتيب والتنظيم Order ١٢- البساطة Sim-plicity

١٣ - الغنى والكلية والشمولية Richness، Totality and Comprehensive-ness effort1essness

١٤- الكفاية الذاتية Playful-ness - الاستمتاعية Self-Efficiency، ١٥- المعنى (الشعور بان لحياته وأهدافه معنى أو قيمة) Meaningfulness

ويرى ماسلو أن محققي الذات يظهرون مجموعة من السمات المرتبطة بالقيم المشار إليها أعلاه والتي يمكن تلخيصها في:

١- يدركون الواقع بطريقة واقعية وبدقة.

٢- يظهرون قبولا لأنفسهم، والآخرين والوضع المحيط بشكل عام.

٣-يتسمون بالبساطة، والتلقائية، والطبيعية.

٤- مهتمون بالمشكلات المحيطة بهم أكثر من تمركزهم على ذواتهم.

٥- هناك موازنة بين الانفصال عن الآخرين والحاجة للخصوصية.

٦ - يميلون للاستقلالية ولذا فإنهم لا يعتمدون على بيئتهم أو ثقافتهم.

٧- يظهرون تجديداً مستمراً من التقدير.

٨ - يخبرون خبرات الذروة.

٩ - يتوحدون ويهتمون بالإنسان عامة وليس فقط بثقافتهم وأقاربهم أو أصدقائهم.

١٠- يبنون صداقة عميقة مع عدد محدود من الأصدقاء.

١١- يظهرون قبولا للقيم الديمقراطية.

١٢- يظهرون حسا قيماً عالياً.

١٤- لديهم ميل للحس بروح النكتة النامية بشكل جيد وغير العدوانية.

١٤ يتسمون بأنهم مبدعون.

١٥ - يميلون إلى التوجه بالذات ولا يخضعون بشكل تام للثقافة.

ويرى ماسلو أن تحقيق الذات قد لا يكون عاماً بين البشر وان كثيراً من الأشخاص لايصلون إلى مستوى تحقيق الهوية كنتيجة لعدد من الأسباب، ومنها أنها اقل الحاجات إلحاحا فالحاجات الأخرى أكثر تهديدا لوجود الفرد ولذا فان الفرد قد يسعى إلى إشباعها قبل هذه الحاجة التي تقع في الهرم حيث لا يصلها إلا بعد إشباع الحاجات الأخرى السابقة عليها كما أن تحقيق الذات يتطلب إدراكاً منها وتقديرا واقعيا لها وهذا ما يخيف كثير من البشر ويتجاهلونه إضافة إلى أن البيئة الاجتماعية والثقافية يمكن أن تعيق تحقيق الأفراد لقدراتهم بما تفرضه من معايير، إذ قد يتطلب تحقيق الذات كسرا لبعض هذه المعايير وقيادة للفرد من داخله أكثر منه من خلال هذه المعايير كما أن تحقيق الذات والذي يرتبط بالفرد والذي يفترض إلا يصله الفرد قبل الحاجات الأساسية يصبح مهددا لبعض الحاجات فقد يصبح تحقيق الذات مهددا لحاجات الأمن وربما غيرها من الحاجات.

# مــاذا يفعل العــرب بكل هــذا الــذهــب؟!

شاكر النابلسي
كاتب اردني - امريكا

ركّزنا في الحلقة الأولى من هذا البحث، على شرح سلبيات الطفرة النفطية الأولى (١٩٧٣-١٩٨٠) وعلاقة هذه السلبيات بسلبيات الطفرة النفطية الثانية، التي بدأت مع مطلع عام ٢٠٠٤ وما زالت مستمرة حتى الآن، وقد ذكرنا في المقال السابق سبع سلبيات لهذه الطفرة، وفي هذا المقال نتابع بسط بقية هذه السلبيات، ومنها:

٨- يقول تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٣، أن الإنتاج الأدبي العربي يعاني قلة عدد القراء بسبب الأمية وضعف القوة الشرائية للقارئ العربي، فلا يتجاوز الإنتاج العربي في مجال الكتب ١,١ ؟ من الإنتاج العالمي، رغم أن العرب يشكلون ٥ ؟ من عدد سكان العالم.

ويقدر التقرير أن هناك ٣٧١ باحثاً ومهندساً فقط من بين كل مليون مواطن في الدول العربية، بالمقارنة مع المعدل العالمي وهو ٩٧٩ باحثا لكل مليون. ويضيف التقرير أن ١,٦ ؟ من السكان العرب لديهم إمكانية استخدام الإنترنت بالمقارنة مع ٦٩ ؟ في بريطانيا، و ٧٩ ؟ في الولايات المتحدة. ونصيب العرب من إجمالي مستخدمي شبكة الإنترنت يبلغ ٠,٥ ؟ في حين تبلغ نسبة العرب إلى إجمالي سكان العالم ٥ ؟ تقريباً. وأن هناك ١٨ جهاز كمبيوتر لكل ألف شخص عربي، مقابل ٧٨ جهاز كمبيوتر لكل ألف شخص في العالم. وتعتبر وسائل الإعلام من أهم آليات نشر المعرفة، ولكن ما زال الإعلام العربي يعاني الضعف والقصور، ما يجعله دون مستوى التحدي في بناء مجتمع المعرفة. فعدد الصحف في العالم العربي يقل عن ٥٣ صحيفة لكل ١٠٠٠ شخص، مقارنة مع ٢٥٨ صحيفة لكل ١٠٠٠ شخص في البلدان المتقدمة. وتعتبر الترجمة من القنوات المهمة لنشر المعرفة والتواصل مع العالم، إلا أن حركة الترجمة العربية مازالت مشوبة بالفوضى والضعف. فكان متوسط الكتب المترجمة لكل مليون شخص من العرب في السنوات الأولى من الثمانينيات ٤,٤ كتب. بينما بلغ ٥١٩ كتاباً في المجر، ٩٢٠ كتاباً في إسبانيا.

٩- مشكلة الفقر في العالم العربي مشكلة خطيرة حتى في أغنى الدول العربية كالسعودية مثلا. وتقول سلوى بعلبكي في بحثها (ثروات بالمليارات وبطالة بالملايين) يخيّل للمرء أن بلداً منتجاً للنفط مثل السعودية لا يمكن أن نجد فيه فقراء. ولكن المفارقة أن نسبة الفقر في هذه الدولة لا يستهان بها. فرغم عدم وجود إحصاءات دقيقة عن الفقر بالمملكة، فإن ثمة تقارير غير رسمية تشير إلى أن عدد الفقراء بالسعودية قدر في العام ٢٠٠٣ بنحو نصف مليون فقير.

وفي تقرير نشرته صحيفة "الرياض" (٢٤/٥/٢٠٠٥) يشير إلى أن وزارة الأشغال العامة والإسكان قامت قبل خمس سنوات بمسح ميداني شمل ثماني مدن رئيسية هي: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والرياض، وجدة، والظهران، والخبر، وأبها. لدراسة الأحوال المعيشية للأسر السعودية، اتضح من خلاله أن ٥١ ؟ من الأسر السعودية لا يوجد لديها دخل ثابت، و٤٠ ؟ لا يزيد دخلها الشهري على ٦ آلاف ريال. في حين يرتفع الدخل إلى حدود مفتوحة لدى ٩ ؟ من الأسر السعودية!

بناء على ما تقدم يجدر التساؤل: هل ارتفاع أسعار النفط نعمة أم نقمة على الدول المنتجة؟ وماذا لو تحققت توقعات بعض الخبراء الذين يتحدثون عن سيناريوهات لأسعار النفط، تتضمن احتمال وصولها لسعر ٤٠٠ دولار بحلول عام ٢٠١٥، وهو احتمال ليس ببعيد إذا قارب سعر البرميل الآن في نهاية ٢٠٠٧ إلى نحو ١٠٠ دولار!

١٠- حدثت تطورات اجتماعية سلبية كثيرة أثناء تلك الطفرة. منها تأنيث جزء كبير من المجتمعات العربية بفعل هجرة الذكور الشباب من أوطانهم إلى الخليج، حيث فرص العمل، وأحلام المستقبل. وتركوا الإناث (زوجات، بنات، أمهات) من ورائهم. كذلك شهدنا آثاراً اجتماعية -اقتصادية للطفرة وللمهاجرين إلى دول النفط، منها وجود كم ضخم من تحويلات العاملين للخارج ونشوء أنماط استهلاكية معينة تمتد خارج قطاع المهاجرين وعائلاتهم عن طريق أثر المحاكاة الاستهلاكية وفصم العلاقة بين رفاه الفرد ورفاه المجتمع (نادر فرجاني، الهجرة إلى النفط، ١٩٨٣). كذلك شهدنا في دول الخليج ارتفاع معدلات الزواج بأكثر من زوجة. وكذلك ارتفاع معدلات الطلاق للزواج بالفتيات الصغيرات. فقد وصلت حالات الطلاق في دول الخليج خاصة إلى نسبة ٣٨ ؟ في قطر، وفي الكويت إلى ٣٥ ؟، وفي البحرين إلى ٣٤ ؟، وفي الإمارات إلى ٤٦ ؟ من إجمالي حالات الزواج (مروة كريدية، ندوة "الطلاق وأثره في المجتمعات المحلية والعالمية"، مركز جمعة الماجد الثقافي).

١١- لم يستطع العالم العربي تحقيق التنمية الاقتصادية -الاجتماعية المهمة، والتي قام بتعريفها الاقتصادي القطري علي خليفة الكواري في كتابه (هموم النفط وقضايا التنمية في الخليج العربي، ١٩٨٥) على الوجه التالي: "التنمية الاقتصادية -الاجتماعية هي العملية المجتمعية الواعية الموجهة نحو إيجاد تحولات في البناء الاقتصادي الاجتماعي. وتكون قادرة علي تنمية طاقة إنتاجية مدعمة ذاتياً، تؤدي إلى تحقيق زيادة منتظمة في متوسط الدخل الحقيقي للفرد. وتكون موجهة نحو تنمية علاقات اجتماعية -سياسية، تكفل زيادة الارتباط بين المكافأة وبين الجهل والإنتاجية. كما تستهدف توفير الحاجات الأساسية للفرد، وضمان حقه في المشاركة، وتعميق متطلبات أمنه واستقراره في المدى الطويل". ولم يصبح الاقتصاد العربي الركيزة الأساسية للحياة الاجتماعية والقانون الجوهري لتنظيمها كما تم في الغرب. ويشير المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي في كتابه (المسلم في عالم الاقتصاد، ١٩٧٢) إلى أن الشرق ظل في مرحلة الاقتصاد الطبيعي غير المنظم. والنظرية الوحيدة التي تناولت تأثير العوامل الاقتصادية في التاريخ هي نظرية ابن خلدون التي ظلت حروفاً ميتة في الثقافة الإسلامية. وقد ساهمت أنا قليلاً وبجزء بسيط في هذا المجال في كتابي (المال والهلال: الموانع والدوافع الاقتصادية لظهور الإسلام، ٢٠٠٢).

١٢- عندما حدثت الطفرة النفطية الأولى (١٩٧٣-١٩٨٠) كانت نسب البطالة في العالم العربي مرتفعة. وكانت تتراوح بين ١٠- ١٢ ؟، واستطاعت هذه الطفرة آنذاك، أن تخفف من أزمة البطالة مؤقتاً، ولكنها لم تستطع حلها عن طريق ترشيد التعليم والاستثمار في التعليم المهني الذي يحتاجه العالم العربي، وخاصة دول الخليج المكتظة بالعمالة الآسيوية (١٣ مليون عامل) التي تمتص كل عام ٣٠ مليار دولار (جريدة "السياسة"، ٢٠٠٥/٩/٢٩). وخلفت هذه الطفرة وراءها أعلى نسبة بطالة في العالم قدرتها "منظمة العمل الدولية" في ٢٠٠٣ بعشرين بالمئة، وهي ترتفع بمعدل ٣ ؟ سنوياً. ولكنها في الواقع أعلى من ذلك. ويقول تقرير "منظمة العمل الدولية": سيكون عدد العاطلين عن العمل في العالم العربي عام ٢٠١٠ رقماً مخيفاً، وهو ٢٥ مليون عاطل، وهي أعلى نسبة بطالة في العالم الآن وغداً. ووصفت "منظمة العمل العربية"، في تقرير نشر في مارس ٢٠٠٥، الوضع الحالي للبطالة في الدول العربية بـ"الأسوأ بين جميع مناطق العالم دون منازع". وأنه " في طريقه لتجاوز الخطوط الحمراء". ويجب علي الاقتصاد العربي ضخ نحو ٧٠ مليار دولار، ورفع معدل النمو الاقتصادي من ٣ ؟ إلى ٧ ؟ واستحداث ما لا يقل عن خمسة ملايين فرصة عمل سنوياً، حتى تتمكن من التغلب على هذه المشكلة الخطيرة، ويتم استيعاب الداخلين الجدد في سوق العمل، إضافة إلى جزء من العاطلين. وأكد مشاركون في "المنتدى الاستراتيجي العربي" الذي عقد في دبي في كانون الاول ديسمبر ٢٠٠٤، أن على صناع القرار في العالم العربي، التخطيط لتوفير ما بين ٨٠ و ١٠٠ مليون فرصة عمل حتى عام ٢٠٢٠، حيث يبلغ حجم القوى العاملة في الوطن العربي حالياً ١٢٠ مليون نسمة، يضاف إليها كل عام ثلاثة ملايين و٤٠٠ ألف عامل.

١٣- نتيجة لضيق فرص وقنوات الاستثمار انصب الاستثمار في الفترة ١٩٧٣-١٩٨٠ في المضاربات العقارية التي وصفت في كثير من الأحيان بأنها مضاربات جنونية، خلفت وراءها كوارث اقتصادية، ومنها كارثة "سوق المناخ" ١٩٨٢ في الكويت (خسائر ٩٠ مليار دولار) التي سببت انهياراً للاقتصاد الكويتي. وكارثة سوق المال السعودي في نهاية عام ٢٠٠٦ (خسائر ٥٠٠ مليار دولار). ويطلق البعض على هذا الاقتصاد "اقتصاد الفقاعة"، أو "الاقتصاد الريعي". وهو اقتصاد هش وغير منتج. ويطلق الاقتصادي الانجليزي جون كينز على مثل هذا الاقتصاد "اقتصاد الكازينو". وهو الاقتصاد الذي يزدهر أحياناً بين جنبات الاقتصاد الرأسمالي، ولا سيما في مجالي المضاربات العقارية ومضاربات بورصات الأوراق المالية المسعورة. وقال يوسف الشلاش، رئيس مجلس إدارة " شركة دار الأركان للتطوير العقاري" بالسعودية، إن القطاع العقاري أصبح من أهم القطاعات، حيث يشكل ما يقارب ٧٥ بالمئة من حجم الاستثمارات. ولو عاش كينز بيننا هذه الأيام وفي أسواق الخليج والأردن خاصة، لشهد مثالاً حياً لـ "اقتصاد الكازينو". وقد اعترف "صندوق النقد الدولي" بأن "اقتصاد الكازينو" يعتبر من عوامل عدم الاستقرار الاقتصادي في العالم (عبد الحميد أمين، الائتلاف الوطني لمناهضة اتفاقية التبادل الحر). وفي هذه الأيام نرى المشهد الاقتصادي ذاته. وكان التعثر الحاصل في المساهمات العقارية وعدم وجود الفرص الاستثمارية أمام المستثمرين، والزيادة الهائلة في السيولة النقدية في الأسواق، قد دفع بالمواطنين إلى المضاربات في سوق الأسهم، ما كبد آلاف المواطنين خسائر مالية، جراء دخولهم أسواق الأسهم دون سابق معرفة في السوق. (جريدة الرياض، ٢٠٠٥/٨/١٦).

ماذا سيفعل العرب بكل هذا الذهب الآن؟

وبعد، ماذا ستفعل مئات المليارات التي امتلأت بها خزائن بعض الدول العربية بكل هذه المشاكل التي خلفتها الطفرة النفطية الأولى، وشهدتها الطفرة النفطية الثانية، والتي ما زالت قائمة في الوطن العربي حتى الآن؟

تقول الباحثة سلوى بعلبكي في مقالها (ثروات بالمليارات وبطالة بالملايين) "إن مشهد الطفرة النفطية التي شهدتها الدول المنتجة للنفط خلال عقد السبعينيات يتكرر حالياً. وهو متوقع أن يستمر حتى نهاية العقد الأول منه. فأسعار النفط المرتفعة حالياً إلى مستويات غير مسبوقة، ستصل إلى مستويات أعلى. إذ أن سعر برميل النفط الذي تجاوز مستوى الـ٩٠ دولاراً أميركياً، مرشح أن يتخطي حاجز ١٠٠ دولار في نهاية هذا العام ٢٠٠٧، إذا ما استمر مستوى الطلب العالمي على وتيرته الحالية وخاصة في الصين والهند، واستمرت الصين الكاسحة، بهذا المستوى من النمو الاقتصادي المخيف والهائل. لكن ما الذي يعني الدول المنتجة للنفط وخصوصاً الدول الخليجية من هذه الطفرة؟ وكيف ستُستغل هذه الطفرة النفطية التي لا مثيل لها في التاريخ؟

هل في تعزيز التنمية والنمو الاقتصادي، خصوصاً في ظل تقارير تشير إلى أن عدد العاطلين عن العمل في دول مجلس التعاون الخليجي سيقارب الـ ٧ ملايين مواطن خلال العقد المقبل.

سنجيب على ذلك في المقال القادم، فإلى لقاء.